صورة العربي لدى السائح الغربي بين المتخيل النمطي والتعارف الواقعي

The image of the Arab in the Western tourist between the stereotyped imaginary and the realistic acquaintance

عادل الوشانى[1]

المعهد العالي للعلوم الإنسانية بمدنين جامعة قابس(تونس)

تاريخ الإرسال : 2022-07-13 تاريخ القبول :2022-07-17 تاريخ النشر : 2022-07-21

ملخص:

ولّى الزمن الذي كان يطلب فيه من الفيلسوف تقديم الحل النهائي لمختلف التناقضات التي تشق الوجود الإنساني، وتحديد التربية المثالية وكيف يمكن للإنسان أن يحققها. أضحت السوسيولوجيا اليوم السبيل الأكثر ملائمة لبناء تفسير للوقائع التربوية وهو ما تحقق مثلا من خلال التفسير الذي صاغه بورديو او ذلك الذي قدمه هابرماس. غير أن هذا الوضع الجديد خلق توترا وعلاقة إشكالية بين علم الاجتماع والفلسفة في مسألة التربية بين من يطرح البقاء عند حدو التحليل السوسيولوجي مثلما هو شأن بورديو وبين من يعتبر ان نتائج السوسيولوجيا ينبغي ان يقع تأويلها فلسفيا ضمن الدلالة المعاصرة للتفكير الفلسفي مثلما هو شأن هابرماس. تدفع هذه العلاقة الإشكالية الي البحث في عناصرها وتقييم العلاقة الممكنة بين علم الاجتماع والفلسفة في مسألة التربية من خلال سؤال: ما الذي يبرر مواصلة التفكير الفلسفي للسوسيولوجيا؟

الكلمات المفتاحية: تربية؛ فلسفة؛ علم اجتماع؛ هابرماس؛ بورديو.

Abstract:

Le temps est révolu où l'on demandait au philosophe de présenter la solution finale aux diverses contradictions de l'existence humaine, de déterminer l'Education Idéale et comment l'homme peut y parvenir. Aujourd'hui, la sociologie est devenue la voie la plus appropriée pour construire une explication des faits éducatifs, ce qui s'est fait, par exemple, à travers l'interprétation formulée par Bourdieu ou celle présentée par Habermas. Cependant, cette nouvelle situation a créé une relation problématique entre sociologie et philosophie en matière d'éducation, entre ceux qui proposent de rester à la limite de l'analyse sociologique, c'est le cas de Bourdieu, et ceux qui interprétent philosophiquement les résultats de la sociologie c'est le cas de Habermas. Cette relation problématique pousse à rechercher à évaluer la relation possible entre sociologie et philosophie dans la question de l'éducation via la question: Qu'est-ce qui justifie une poursuite philosophique de la sociologie?

Keywords: Education; Philosophie; Sociologie; Habermas; Bourdieu.

[1]adelsocio@yahoo.fr

1- مقدمة

نسعى الى معالجة هذه الإشكاليةفي جزءها الأول المتعلق بصورة العرب عند الغرب انطلاقا من بعض الأدبيات الهامة التي عنيت بدراستها. أما جزءها الثاني المتصل بصورة العرب عند الغرب بعد التواصل السياحي والتعارف المباشر بينهما، فعالجناهاعتمادا على منهاجية المعايشة الذاتية التي تعتمد على استقصاء الواقع عن طريق المعايشة من الداخل والمشاطرة اليومية لنمط العيش وأساليبه[1] حيث عشنا على الشاطئ في جزيرة جربة، الواقعة في الجنوب الشرقي التونسي، كباحث اجتماعي في ثوب خيال نعايش ذاتيا التفاعلات بين الخيالة والسياح الغربيين: الفرنسيين والألمان والإيطاليين والبلجيكيين ونشارك في هذه التفاعلات كواحد منهم.

لقد كان تواصلنا مع السياح ممتدا وعميقا وشخصيا الأمر الذي عمق خبرتنا بهم ومكننا من الوقوف على حيز هام من قيمهم ومفاهيمهم وتصوراتهم وتمثلاتهموانتظاراتهم وتوقعاتهم ...هذا الفهم عززناه بمقابلات مع ثلاث من النساء الغربيات زوجات معارفنا ممن تزوجوا زواجا مختلطا، علما وأن هذا النمط من الزواج ظاهرة طافحة بحدة في جزيرة جربة. كما عززناه بمقابلات مع ثلاثة من الأجانب الغربيين الذين استقروا في هذه الجزيرة استقرارا نهائيا. علما أيضا وأن عدد الغربيين الذين أقاموا فيها اقامة نهائية عددهم ثقيل أيضا.

1- صورة العرب النمطية عند الغرب: المتخيل النمطي

إن الأدبيات التي عالجت صورة العرب عند الغرب عددها كبير وسوف تطول الكتابة وتتشعب لو نتتبع المسارات التي مرت بها هذه الصورة منذ تشكلها الى اليوم، لذلك سنقتصر على بسطة مختصرة نوضح بها مضامينها الأساسية وهي المضامين الضرورية لخدمة الدراسة.

لقد بدأت صورة العرب عند الغرب تتشكل منذ العصور الوسطى ابان الفتح العربي الاسلامي لمناطق في قارة اوروبا والتوسع لما وراء جبال البرتات حيث اعتبر قادة اوروبا أن هذا التوسع هو بمثابة تحد وجودي وحضاري لهم. تمثل التحدي الوجودي باندفاع الاسلام في أوروبا بقوة مما أعاق انتشار المسيحية وشكل تهديدا لها. أما التحدي الحضاري فتمثل بإقامه الحكم العربي الاسلامي في اسبانيا وصقلية. ونتيجة لهذا التحدي بات من الضروري كما يقول كاباتون تعلم اللغة العربية وذلك لما أصبح يشكله العرب من خطر حقيقي على أوروباّ [2] . ونتيجة لهذا التحدي أيضا انطلق الاستشراق الرسمي الذي يمكن التأريخ له من سنة 1310 وهو تاريخ تأسيس مجمّع فيينا الكنسي الذي أوصى بإنشاء كرسي لتعلم اللغة العربية في جامعات ايطاليا وذلك على نفقة الفاتيكان.[3]

لقد اهتم الاستشراق بدراسة المجتمعات الشرقية ومنها المجتمعات العربية. ولقد أنتج في شأن هذه الأخيرة آلاف الدراسات، غير أن أغلب هذه الدراسات، كما يقول الأستاذ بوحديبة، جعلت من المعرفة الاجتماعية بابا من أبواب

العلوم الاستعمارية حيث عملت أغلبها على تبرير الغزو الأوروبي لهذه المجتمعات وتفكيك عرى أواصرها واستكشاف أحشائها والتنديد بمختلف مكوناتها الحضارية وتحقيرها والنيل من شأنها وإضعاف ارادتها وإفشال مساعيها .[4]

لقد صورت هذه الدراسات المجتمعات العربية صورة ذات مضامين سلبية فهي بربرية ومتوحشة وبدائية[5] ومتخلفة وسكونية وتشوب شخصيّتها القومية عيوب جسيمة كالكسل الفكري والضحالة الذهنية والاستبداد والشهوانية والغريزية والانفعالية وسطوة الرجل واستعباد المرأة. أمّا حضارتهم فهي ضرب من ضروب الفولكلور، ولغتهم بربريّة تسودها المبالغات.[6]

هذه الصورة ليست تعبيرا عن علاقة تعارفية مباشرة بين الغرب والعرب، أي أنها من الناحية الامبريقيةزائفة،وهي جزءاً من نظام خطابي لعلاقات "السلطة والمعرفة"، وإن شئنا هي توظيف للمعرفة في خدمة السلطة والأيديولوجيّة، كما يذكّرنا بذلك ميشيل فوكو وإدوارد سعيد وألتوسير .

هذه الصورة غدت قوالب نمطية رائجة على نحو واسع في الوعي الجمعي الغربي، ولقد خلقت سردية وجودية ومعرفية وأصّلتها في هذا الوعي كصورة واقعية، غير أنها ليست واقعية ولا هي نتاج خبرات وانما هي بناء في المخيال ونتاج رغبات ومصالح وأفضليات وهنا تكمن قيمتها كما يقول طاهر لبيب[7]. انها قالب جامد موحد القياس تشتغل آلة عملاقة على اعادة اختراعه باستمرار وتكريسه باستمرار وتعزيز الشغف الجماعي به باستمرار وتثبيته ابستمولوجيا ومنحه تأويلا معرفيا وتاريخيا ثابتا وممنهجا. هذه الآلة العملاقة وراءها ترسانة معقدة من الفاعلين وصُنّاعُ القرار والموجِّهين للرأي العام وأربابُ السياسة والايديولوجيا والخبراء في مراكز الأبحاث ورجالُ الأعمال والدراسات العلمية الموجهة وكتب التعليم والسينما ووسائل الإعلام والنظريات الفلسفية والحضارية والعرقيّة وماركس ومونتيسكيووفلوبيروبوسكايوقوبينو وجيمس ميل وبرنارد لويس ودانيال بايبسوإريك جونز وغيرهم من المفكرين والفلاسفة الذين شرعوا، بنوايا معرفية سليمة وحسنة أو متآمرة وكائدة، للتفاضل بين الحضارات وللاستعمار وأنتجوا مفاهيم المتوحش الطيب والاستبداد الشرقي وعقلانية الغرب والتفوق الاوروبي وأحقيته في التوسع وواجبه الانساني في تحضير الشعوب المتخلفة...

2- صورة العرب عند الغرب: التعارف الواقعي:

والسؤال؟؟

هذه الصورة النمطية المخيالية التي يحملها الغرب عن العرب هل يثبّتها التواصل المباشر والتعارف الصريح بينهما أم يكسرها؟ وإذا أردنا صياغة هذا السؤال بطريقة أخرى نقول هل أن السياح الغربيين الذين يفدون على جزيرة جربة

ويدخلون في تفاعل مباشر وصريح وكثيف وممتد مع سكانها كعرب، هل يواصلون حملها والاعتقاد في صحتها أم تتبدل نظرتهم للعرب وتتكون لديهم صورة جديدة عنهم؟

قبل أن نجيب عن هذا السؤال نؤكد اننا لسنا بصدد دراسة كمية وإنما نحن بصدد دراسة كيفية، وهدفنا ليس الوصف الكمي وإنما الوصول إلى عالم الرموز والأفكار والدلالات والتصورات. وهذا العالم ليس معطى خارجيا يمكن دراسته كشيء من الخارج ، وإنما هو بناء معاش ذاتيا ولا يمكن دراسته إلا بفهمه من الداخل ، من هنا كانت مقاربتنا كيفية تفهمية ، وفي هذا النوع من الدراسات فإن العدد القليل من الوحدات المدروسة، حينما يشتمل على الخصائص والمتغيرات المطلوبة ، يكون عينة ممثلة بكل معاني الكلمة ولا يسقط ذلك شيئا من مصداقية النتائج .فالفردي في أبعاده النفسية هو احتواء للحظات مجتمعية[8]، وهو عام أيضا إذ يتكون من البنية العامة لنمط أثري ناتج عن الحياة الإجتماعية المشتركة .[9] كما يقول روجيه باستيد.

لقد بينت لنا الدراسة التفاعلية القائمة على المعايشة الذاتية ان الصورة التي يحملها السياح الغربيين عن العرب أي التونسيين الذين تهيأت لهم أسباب التواصل المباشر والعميق معهم بمناسبة العطلة السياحية مختلفة تماما عن الصورة النمطية التي عرضناها والتي يحملها الغرب عامة عن العرب.

فماهي مضامين هذه الصورة؟

ينظر هؤلاء السياح الى العرب نظرة متشعبة العناصر ولكن ايجابية فطبعهم تغلب عليه العاطفة والانبساط والتعبيرية والانفعال والكرم والغيرة... ويعيشون في كنف أسر أفرادها يتضامنون ويعتمدون على بعضهم البعض بالتزام وتضحية مدى الحياة.. الأمر الذي يجعل الجميع يعيش في طمأنينة... الرجل شديد الغيرة على زوجته ويعاملها بتملك وهذه يعزز معنوياتها ويسعدها.

وبالإضافة الى السند الأسري، يحيط العربي نفسه بعلاقات اجتماعية متنوعة يتواصل معها بكل توادد وتساند كعلاقات الصداقة وعلاقات الجوار.

تقول زوجة خيال وهي ألمانية: الحياة في جربة بسيطة وسهلة ... زوجي يغار عليا كثيرا وهذا يعجبني ويعززني...لا يقلقني أن أقضي كامل النهار في بيت أهل زوجي أشاركهم كل شؤون البيت وبعض الأعمال الفلاحية... هناك بعض التعب ولكن الحياة الجماعية هنا جيدة...الحياة مع الجماعة تعطي معنى للحياة...أحب العرب ويكفي أن زوجي عربي وقد أعطاني طفل جميل عمومته عرب كما أنني تركت وطني وأهلي في ألمانيا وها أنا أعيش بينهم...

تقول سيدة إيطالية متزوجة من جربي وتقيم معه في جربة منذ حوالي 25 سنة: كثيرا ما يسألني أصدقائي في إيطاليا كيف عايشت العرب طوال هذه المدة...كنت دائما أجيبهم يجب التعرف على العرب ومعايشتهم قبل الحكم عليهم. كما أقول لهم أن حياتي الزوجية والأسرية مستقرة وأنني أشعر بالأمان والطمأنينة.

يقول متقاعد فرنسي مقيم بمعية زوجته في جربة منذ سنوات.. الناس طيبون...أتبادل أنا وزوجتي الزيارات مع جيراننا...وخاصة زوجتي فهي تشاركهم كل الاحتفالات والمناسبات وتذهب معهم الى الأعراس وتمارس معهم كل الطقوس وتلبس لباسهم التقليدي وهو جميل وتضع الحنة في كفيها وقدميها وهذا جميل جدا ومثير وترقص معهم،كما تعلمت طبخ الكثير من الأكلات اللذيذة حتى أنني أصبحت أستسيغ الأكل الحار.....

سيدة سويسرية مختصة في علم النفس المدرسي، متقاعدة، تقول: حينما أكون في جربة أتصالح مع نفسي...ليس عندي وقت فراغ...لدي الكثير من الأصدقاء... الحياة في جربة مضادة للاكتئاب.

مسنة سويسرية صاحبة مال كثير حد الثراء طلبت من صديقها الخيال أن لا يهاجر الى أوروبا وأن لا يتزوج بإمرأة غربية وأن يتزوج في المقابل بامرأة عربية ويعيش في جربة وتسكن هي معهما في إقامة فارهة وعدته أنها سوف تبنيها لهما كما وعدته بأنها سوف تغدق عليهما الإنفاق... ومما قالت له أيضا أن المرأة العربية سوف تتحمل شيخوختها وترعى عجزها وهذا ما لا يمكن أن تفعله امرأة غربية...وأنها تريد أن تضمن شيخوخة اجتماعية دافئة في إطار عائلة تجنبها العودة الى سويسرا حيث دور المسنين والترك والنسيان...

3- النتائج ومناقشتها:

هذه اجمالا الصورة التي يحملها الغرب عن العرب بعد التعارف السياحي المباشر بينهما ولقد رسمناها انطلاقا من خبرة طويلة ومن مقابلات. ويبدو واضحا أنها صورة إيجابية وتختلف عن الصورة النمطية ذات المضامين السلبية التي رأيناها، وقبل أن نبحث في أسباب هذا الاختلاف، نشير الى مسألتين هامتين أولا أن هذه الصورة تركز أساسا على القيم الجماعية ومختلف أنواع التساند الاجتماعي وخاصة التساند الأسري وتبجيل المسنين ورعايتهم والإحساس العام بالإسناد والطمأنينة. هذه القيم أعتقد أنه تم التركيز عليها من باب التعويض النفسي للتغطية على ما تفتقر له المجتمعات الغربية الرأسمالية بحدة من قيم وتعيش معاناة فقدها والوعي اليائس من امكانية استردادها وخاصة قيم الأسرة التي عز وجودها في الاجتماع الغربي ولكن عزيزة في وجدانه كما بين ذلك جون ستوتزال في دراسته القّيمة حول القيم الأوروبية في الزمن الحديث .[10]

ثانيا: هذه الصورة تقترب في بعض عناصرها من الصورة الفعلية والحقيقية التي رسمها بعض علماء الاجتماع العرب عن مجتمعاتهم أمثال هشام شرابي وحليم بركات. فحليم بركات مثلا كتب عن التساند الأسري بإطناب حينما

تحدث عن علاقات الإعالة والإعتماد المتبادل بين أفراد العائلة العربية، والشعور الراسخ لدى أفرادها بالاطمئنان والاستقرار العاطفي وعدم القلق تجاه الأزمات والنكبات المحتملة[11] حيث يقول في الوقت الذي يشار فيه للأولاد بالعيال والى الأب بالمعيل ينادي الأهل الولد بسندي مما يعكس الأوضاع فيتحول الأهل عند عجزهم الى عيال والولد الى سند أو معيل.[12]

نأتي هنا الى سؤال مركزي في الدراسة: لماذا صورة العرب النمطية عند الغرب سلبية قبل التعارف السياحي ايجابية بعده؟

أما الجواب فهو التالي: رأينا قوة الآلة العملاقة الصانعة للصور النمطية لآخر الغرب ومنه العرب والخالقة للسرديات التي ترتقي الى مستوى المعادلات المفسرة للوجود والمبررة لشروطه السائدة والمهيمنة.

رأينا أيضا كيف أن هذه الصور تتحول الى قوالب جامدة[13] تتحكم في الوعي الجمعي الغربي وتخلق طبقة كثيفة من الحجب التي تخفي الرؤية لما يجري في الواقع. هذه الصور تفعل فعلها ما لم يتحقق التفاعل الاجتماعي المباشر، أي تفعل فعلها ما دامت في مستوى المتخيل الذي يشير بوجه عام إلى كل ما هو ليس واقعاً متعيناً ولا وجود له إلا في الذهن.[14]

لكن حينما يتحقق التفاعل الاجتماعي المباشر، يتحقق التعارف بين الشعوب بما هو علم هذه الشعوب بأحوال بعضها البعض وصفات وعادات وتقاليد وأفكار وقيم ومعتقدات بعضها البعض.

لقد خلقت السياحة، من ناحية، فرصة لتحرر السياح الغربيين من سطوة الصورة التي تم اصطناعها في مجتمعاتهم للآخر العربي واملائها على مخيلتهم الجمعية واكراههم على التصديق بها وتحكمها بالتالي في الموقف منه. وخلقت، من ناحية ثانية، بيئة تعارفية بين السياح الغربيين والتونسيين كعرب وذلك على قاعدة خلي بين الناس والناس يتعرفون على بعضهم البعض ويتعارفون عن كثب بتواجدهم معا في وضعيات تفاعلية مباشرة ومتداعية بحرية وعفوية وتلقائية وبدوافع ذاتية وبدون تأثيرات خارجية ... فينظرون الى بعضهم البعض ويتحدثون الى بعضهم البعض ويستمعون الى بعضهم البعض... فتتقشع أسباب سوء التعارف بينهم ويزول الغموض واللبس والغرابة. أما الصورة النمطية الماقبلية التي كانوا كغربيين يحملونها عن العرب فقد اختبروها في ضوء ما نشأ بينهم من المعاينة والعلم والخبرة فتبينت لهم مغالطاتها وادعاءاتها وتضليلاتهاوتضخيماتها ومبالغاتها وتهيآتها كما تبين لهم أن العرب لهم، كما لهم، خصوصياتهم الحضارية وتوازناتهم القيمية وأطرهم المعيارية، فتحقق بينهم الاعتراف بما فيه من بوح والعرفان بما فيه من تقدير والعرف بما فيه من اتفاق ونشأت بينهم مختلف التعبيرات والانفعالات والعواطف والمشاعر ونشأت بينهم أيضا مختلف المبادلات الجسدية والاقتصادية والثقافية والاجتماعية التي كان أرقاها ظاهرة الزواج المختلط le mariage mixte، أو الزواج بغربية. وهي ظاهرة طافحة جدا في جربة وجديرة بالدراسة

العميقة، بما في هذا النمط من الزواج منإنجاب ومصاهرة وخؤولة وعمومة وتأسيس لروابط الدم والنسب والنسل والوجود المشترك.

وأيضا ظاهرة إقامة العديد من الغربيين إقامة نهائية في جربة مع ما يعنيه ذلك من انفصال عن متونهم المعيشية وروابطهم الاجتماعية والثقافية وبيئتهم القيمية والمعيارية. واتصالهم، في المقابل، بالمجتمع العربي وارتباطهم بمتنه المعيشي وبقيمه ومفاهيمه وانتماءهم لنسق تفاعلاته ومبادلاته.

هنا يصل البحث الى نتيجة هامة وهي أن التعارف المباشر والحر والعفوي بين الشعوب، ومنه التعارف الذي تتيحه السياحة، يكسر الصور النمطية الماقبلية التي تحملها هذه الشعوب عن بعضها البعض بما في هذه الصور من أخطاء ومغالطات وتشويهات ويبني معرفة حقيقية فيكون التفاهم ويكون الاعتراف والقبول المتبادل. هذا التعارف يجلي المعرفة ويقشع الضجيج المحيط بها.

إن المنوال السياحي الذي تتحقق معه هذه الفرضية هو ذلك الذي يؤمّن التعارف بين السياح والأهالي أو ما يمكن تسميته بسياحة التعارف tourisme d interconnaissance ومن شروط هذا المنوال تواجد السياح والأهالي معا في وضعيات تفاعلية تسمح بالتبادل المباشر المتنوع والعفوي والحر والتلقائي والعميق والإرادي كما أسلفنا...

أما سياحة الانغلاق، وهي السياحة الأكثر شيوعا في بلداننا، حيث يمكث السياح في النوادي التي تؤمن لهم كل الحاجيات على قاعدة كل الخدمات مشمولة tout inclus. فلا يتفاعلون مع الأهالي ولا يبادلونهم شيئا إلا في الحدود الدنيا العرضية. هذا المنوال السياحي يحوّل النوادي الى معتزلات **ghetto** تفصل السياح عن المجتمع المحلي وتحول دون التعارف. بل لعل هذا المنوال يكرس الصور النمطية السلبية. فنمط انتاج بعض الفئات الاجتماعية المهنية وتقاناتهم التقليدية التي لازالت فعاليتها ووظيفيتها الريفية متمادية مع الحيوان ومتماهية مع الطبيعة والعربة المجرورة والحمير والجمال والمحراث التقليدي والبحار بمركبه الصغير المتهادي في البحر وشباكه البسيطة...هذا النمط وحضور الإنسان فيه يبني في مخيلة السائح المنفصل عن هذا الانسان صورة غرائبية عجائبية مدهشة. فهو بدائي، قيمته لا تتجاوز ما يحققه من رفاه فرجوي وترف استكشافي كتحفة حيّة من متحف التاريخ البشري الذي يفيد الاطلاع عليه في فهم السيرورة العامة للإنسان كيف كان وكيف أصبح... [15]كما لا نستبعد لو نشرح هذه المخيلة أن نجدها قد استحضرت، بكل استسلام لما تختزنه من قوالب جامدة، صورة " ذلك المتوحش الطيب" Le bon sauvage الذي نوّه به جون جاك روسو.

4-الخلاصة:

خاتمة وهنا نفتح أفقا جديدة للدراسة.

لقد درس عدد غير قليل من المفكرين العلاقة بين النظم الاجتماعية المختلفة ومنهم روجيه غارودي ونظريته حول حوار الحضارات وصامويل هانتغتون وصدام الحضارات وهابرماز والفعل التواصلي وزكي ميلاد وتعارف الحضارات.

سنكتفي هنا لضيق المجال بالتعرض الموجز لزكي ميلاد.

انطلق ميلاد من الآية الكريمة (يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا)[16] وسماها آية التعارف، وبنى على أساسها نظرية تعارف الحضارات.

وهو يذهب الى أن المقصود بالشعوب والقبائل هم التجمعات والمجتمعات الصغيرة والكبيرة، ويدخل في هذا المعنى الحضارات. من هنا استعماله لهذا المفهوم.

كما يذهب الى أن مفهوم التعارف يؤسس لمفاهيم الحوار والوحدة والتعاون.

هذه النظرية على أهميتها لم تبين آلية التعارف بين الحضارات. ثم أن استبدالها لمفهوم الشعوب والقبائل بمفهوم الحضارات فيه تعقيد للفهم.

فمفهوم التعارف فيه معنى التعارف المتبادل والمتكافئ في آن معا، أتعرف عليك وتتعرف عليا. ومفهوم الحضارة يشمل فيما يشمل التقدم العلمي والتكنولوجي بما في ذلك علوم وتكنولوجيات التعرّف على الآخر. والحضارات ليست متساوية في هذا التقدم وبالتالي يمكن للحضارات المتقدمة في هذا المجال أن تتعرف على غيرها من الحضارات الأخرى المفتقرة له وتبقى هذه الأخيرة جاهلة، فنتحدث هنا عن التعارف اللامتكافئ.

وأيضا فإن تكنولوجيا التعرّف هي أيضا تكنولوجيا التعريف أي تكنولوجيا بناء الصورة. إن التكنولوجيا تخول لحائزها التحكم في صورته عند الآخر أي أنه يصوغ صورته عند الآخر على النحو الذي يريده.

لقد تحدث جون بودريار كثيرا عن صناعة الواقع انطلاقا من الصورة،امريكا مثلا هي فيديوغرافيا عملاقة كما يقول، فالصورة، كما بين فلم وردة القاهرة الارجوانية تخرج من الشاشة لتحجب الواقع وتحل محله وتقولب الوعي وتبني الموقف.

إن الحضارة التي تملك تكنولوجيا التعرّف والتعريف تملك التصرف في الصورة. بل بإمكانها أن تتحكم في صورة الشعوب عن نفسها.

إن التعارف الذي يحقق القصد هو الذي يتم في إطار تفاعل مباشر بين الناس فيعايشون بعضهم البعض ذاتيا وجها لوجه كما أسلفنا فيعاينون بعضهم البعض ويكتشفون بعضهم البعض ويختبرون بعضهم البعض بعيدا عن أي وساطات وذلك في بيئة تعارفية متكافئة.

ان آليات التعارف بين الناس كثيرة ومنها الهجرة والتجارة وخاصة السياحة التي تعني فيما تعني الضرب في الأرض والسير فيها واكتشاف ناسها مباشرة.

ولقد بينت الدراسات أن هذه الظاهرة هي دفعة انسانية une poussee de l'humanité ... وأنها من الظواهر البشرية الأقدم وأنها منذ انبثاقها لم تأفل وحتى الكوارث والأزمات لا توقفها اذ ثمة السياحة السوداء.

- المراجع:

باستيد، روجيه(1988). السوسيولوجيا والتحليل النفسي، دار الحداثة بيروت.

بركات، حليم (1986). المجتمع العربي المعاصر، مركز دراسات الوحدة العربية، الطبعة الثالثة بيروت ديسمبر.

بوحديبة، عبد الوهاب (1992). فصول عن المجتمع والدين، الدار التونسية للنشر.

بودون ريمون وبوريكو، ف (1986). المعجم النقدي لعلم الاجتماع، ترجمة سليم حداد، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع.

الجباعي، جادالله (2018). صورة الآخر بين الواقعي والمتخيل موقع مجلة صور الثلاثاء, 19 حزيران. 2018

سعيد، ادوارد (1977). الاستشراق ترجمة كمال أبو ديب مؤسسة الأبحاث العربية بيروت.

الوشاني، عادل (2006). أساسات علمية للظاهرة السياحية: التاريخ والهوية والمناويل، منشورات مكتبة علاء الدين صفافس تونس.

ياسين،السيد (1983). الشخصية العربية بين صورة الذات ومفهوم الآخر. دار التنوير للطباعة والنشر، بيروت،لبنان.

Cabaton , A (1914) L'orientationmusulman et l'Italiemoderne. Revue du monde musulman tome 21_24 .

Stoetzel , Jean (1983) -*Les valeurs du temps présent, Une enquêteeuropéenne.* Paris ; PUF .

TESTAR Alain, (2011) De moi à Eux, Les affres de l'anthropologue, in Le Point références « Comprendrel'autre ». L'hebdomadaire Le Point-sebdo. Paris. Mai- juin 2011

[1]عبد الوهاب بوحديبة فصول عن المجتمع و الدين ، الدار التونسية للنشر 1992 ، ص 28.

[2] (A Cabaton L'orientation musulman et l'Italie moderne. Revue du monde musulman tome 21_24 annee 1914 p7. Cit in

[3] ادوارد سعيد الاستشراق ترجمة كمال أبو ديب مؤسسة الأبحاث العربية بيروت 1977 ص 80.

[4]عبد الوهاب بوحديبة فصول عن المجتمع و الدين ، مصدر مذكور سابق ، ص 14.

[5] TESTAR Alain, De moi à Eux, Les affres de l'anthropologue, in Le Point références «Comprendre l'autre». L'hebdomadaire Le Point-sebdo. Paris. Mai- juin 2011.. p. 7.

[6] السيد ياسين . الشخصية العربية ... مصدر مذكور سابقا ، ص 74 .

[7] أنظر صورة الآخر العربي ناظرًا ومنظورًا إليه، تحرير: الطاهر لبيب، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، الجمعية العربية لعلم الاجتماع، 1999.

[8] ريمون بودون و بوريكو ، ف : المعجم النقدي لعلم الاجتماع ، ترجمة سليم حداد ، المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر و التزيع ، 1986، ص 96.

[9] روجيه باستيد . السوسيولوجيا و الحليل النفسي ، دار الحداثة بيروت ، 1988، ص 293.

[10]Jean Stoetzel -*Les valeurs du temps présent, Une enquête européenne.* Paris ; PUF, 1983 p121_122_123.

[11] نفس المدر، ص 176.

[12] حليم بركات: المجتمع العربي المعاصر، مركز دراسات الوحدة العربية، الطبعة الثالثة بيروت ديسمبر 1986، ص 175.

[13] السيد ياسين. الشخصية العربية بين صورة الذات ومفهوم الآخر. دار التنوير للطباعة والنشر، بيروت ، لبنان ، 1983 ، ص 41 . وقد ورد في نفس هذه الصفحة تعريفا لهذا المفهوم وهو التالي: " القوالب الجامدة " هو مفهوم استعاره الصحفي الأمريكي " ولتر ليبمان" من عالم الطباعة حيث يشير إلى القالب الذي تصب على نسقه حروف الطباعة ، لكي يستخدمه في مجال آخر بعيدا تماما هو مجال الإتجاهات والأفكار إذا اتسمت العمليات الذهنية التي تشكل مادة الخبر في نماذج ثابتة بطابع جامد متصلب. ويوضح " ليبمان " فكرته فيقول : في هذه الحالة ، أي إذا فكرنا من خلال القوالب الجامدة فنحن لا نرى الأشياء أولا ثم نعرفها، ولكن نحن نعرفها ثم نراها من بعد، فنحن نلتقط من الخضم الهادر للعالم الخارجي ما سبق لحضارتنا التي نعيش في رحابها أن عرفته لنا، ونميل إلى تبني هذه الآراء التي كثيرا ما يحدث أن تكون صيغت في صورة قوالب متجمدة.

[14]جادااللهالجباعي، صورة الآخر بين الواقعي والمتخيل موقع مجلة صور

2018 الثلاثاء, 19 حزيران

[15] عادل الوشاني: أساسات علمية للظاهرة السياحية: التاريخ والهوية والمناويل ، منشورات مكتبة علاء الدين صفافس تونس 2006 .

[16]الآية 13 من سورة الحجرات